المحاضرة الرابعة عشر:مسرح الأطفال 02.

أهمية مسرح الأطفال، دوره في تلبية الحاجات النفسية للطفل.

ظـلّ الأدب لقـرون طويلــة يغـازل عقـول النّــاس وقلـوبهم، يدغـدغ الأحاسـيس والمشـاعر، وينمّـي العقـول والمـدارك، ولازال-كـذلك- يجسّـد تجـاربهم الخاصـة، ويعـزّز انتمـاءاتهم المختلفـة، كلّ حسب ميولـه وأهوائـه؛ لهـذا كـان لكلّ إنسـان قصّـة وحكايـة مـع تجربـة أدبيـة معيّنـة.

إذا كان هذا حال الأدب مع الكبار، فحاله مع الصغار كذلك أو تزيد؛ فالطفل محتـاج إليه حاجته للماء والغذاء، ولأمّه وأبيـه، وإلـى المنـزل الـذي يأويـه؛ فـالأدب يأخـذ بيـد الطفل فيمتّعه ويؤنسه ويدخل السرور على قلبه، كما يعمل على إشباع حاجة الفضول عنده التي تصل في هذه المرحلـة العمريـة منتهاها، فالفضول وحبّ التطلّـع غريزة ظـاهرة عنـد الطفل أكثر من غيره « منذ أن يدرك الطفل العالم من حولـه تنشأ لديـه حاجـة هامّـة من حاجاتـه العقلية إلى الاستطلاع، إنّه يحبّ أن يتعرّ ف على أشياء كثيرة تحيط به، يؤثر فيها أحيانـا وتؤثر فيه أخرى»[190].

وبـالرغم مـن أنّ الاهتمـام بـأدب الأطفـال ودراسـته تُنبّـه لـه حـديثا، إلاّ أنّنـا نلحـظ تسـارعا وتهافتـا كبيـرين حـول دراسـته، وتبيـان أهمّيتـه فـي أقطـار العـالم كافّـة مـع زيـادة واضحة عند الأمم المتحضّرة السبّاقة في هذا المجال، كلّ ذلك لما وجدوه في هذا الأدب من نعم جمّة وآلاء عظيمة تعمل على تنمية شخصية الطفل وصقل موهبتـه، ومن أعظم الفوائد وأجلّها ما ذكره وحدّد كنهه الدارس أحمد نجيب عند حديثه عن دور أدب الأطفال

190العيد جلولي. النص الأدبي للأطفال في الجزائر(دراسة تاريخية فنيّة). دار هومة، الجزائر .دط. 2003. ص12. (ينظر: رشدي طعيمة. ص27.)

في تنمية التفكير الابتكاري والإبداعي لدى الطفل، وهذه الفوائد التي عدّدها الدارس هي[191]:

1- يمكن لأدب الأطفال أن يدعّم –بقوّة- التربية الروحية الصحية للأطفال، والتي تدعّم –بدورها- بناء شخصية الفرد السويّ.

2- يمكن لأدب الأطفال أن يعدّ الأطفال للحياة في عالم الغد.

3-يقوم بدور هام في إثراء لغة الأطفال.

4-تقون القصص والمسرحيات والأغاني والأناشيد من ألوان الإنتاج الأدبي، بدعم القيم والصفات اللازمة لعملية التفكير الابتكاري والإبداعيّ.

5-يقدّم أدب الأطفال قصص العلماء والمخترعين وأهل الإبداع ليتّخذ الأطفال من حياتهم، وسيرهم وتصرّفاتهم نماذج وأمثلة تحتذى.

6- يقدّم أدب الأطفال أنماطا للتفكير المستهدف، ونماذج للتّصرّف السليم في مختلف المواقف.

7- تقوم كتب الأطفال بدور هام في عمليات التصنيف واكتشاف المختلف والمتشابه، والتدرّب على دقة الملاحظة وابتكار الحلول.

8- وأدب الأطفال يتيح مواقف تستدعي من الأطفال: دقّة الملاحظة والتأمل، الربط والتحليل والاستنتاج، حسن إدراك الأمور.

9- تستطيع الكتب المدرسية أن تنميّ قدرة الأطفال على الإبداع.

191ينظر: أحمد نجيب. أدب الأطفال (علم وفن). دار الفكر العربي. القاهرة–مصر.ط3 . 2000 .ص295 وما بعدها.

10-أدب الأطفال الناجح يحبّب الأطفال في الكتب والقراءة وكلّ أوعية العلم المعرفة.

على أنّ هناك فوائد أخرى ذكرها غيره من الدارسين تجاوزها هو لعظم فائدة هذا اللون من الأدب الذي لا تكاد تحصى آلاؤه ونعمه على تنمية شخصية الطفل وتكوينه النفسي والفكري، فهذه الدارسة حنان عبد الحميد العناني ترى أنّ أدب الأطفال ومنه المسرح، على جانب كبير من الأهمية لتحقيقه مجموعة من الأهداف، تذكر منها مايلي[192]:

1-يسلّي الطفل ويشعره بالمتعة ويشغل فراغه وينمّي هواياته.

2- يعرّفه على البيئة النّي يعيش فيها من جميع جوانبها.

3-يسهم في اطلاعه على أفكار وآراء الكبار.

4- ينمّي القدرات اللغوية عنده وذلك بزيادة المفردات اللغوية لديه وتنمية قدرته على القراءة والاستيعاب.

5- يكوّن ثقافة عامّة لديه.

7- يتعلمّ عن طريقه التركيز والانتباه والملاحظة الدقيقة.

8- يسهم في تنمية الذوق الفني لديه من خلال الموسيقى والألوان الجميلة0

9- يساعده في التعرف على الشخصيات الأدبية والتاريخية والعلمية والدينية والسياسية من خلال قصص البطولات والمشاهير.

10- يجعله إنسانا متميزا لمطالعته أشياء كثيرة.

192ينظر: حنان عبد الحميد العناني. أدب الأطفال.دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.عمان –الأردن.ط4. 1999.ص22.

11- يعمل على زرع الاتجاهات الاجتماعية السليمة لديه، ويعرّفه بالعادات والتقاليد الواجب اتّباعها في مختلف الظروف.

وليس بعيدا عن مثل هذا نجد الدارس أحمد طعيمة يخوض طويلا في إبراز أهمية أدب الأطفال وتعداد فوائده فيسترسل أيّما استرسال ويطيل أيّما إطالة إلى أن يصل لقوله:«وبإيجاز، فإن أدب الأطفال يمكن أن يزودهم بفهم لأسباب السلوك الإنساني..أن لكل سلوك دوافع، ظاهرة كانت أم خفية، ومن الممكن عن طريق الكتب أن يتعرّف الطفل على ما يكمن وراء أشكال السلوك المختلفة من أسباب وما يحركها من دوافع...إن من الممكن للطفل عن طريق الأدب الذي يكتب له، أن يفهم الحاجات الأساسية التي يشترك فيها الجنس البشري في مختلف الأعمار و الشعوب »[193].

ونستطيع القول: إنّه ليس هناك كتاب ألّف في أدب الأطفال إلاّ وقد أخذ صاحبه يعدّد الفوائد الكثيرة التي يمنحها هذا الأدب ممّا يجعل النماذج في هذا المجال كثيرة لا يتّسع المقام لعرضها، ولربما تكون بحثا مستقلّا همّه تبيان فائدة هذا النوع من الأدب، ولعلّه -بعد ذلك- لا يقتل القضية بحثا ولا يفيها حقّها.

وبالإضافة لكلّ ما سبق فإنّ لأدب الأطفال والمسرح خصوصا، دورا هامّا ورئيسا لإشباع الحاجات النفسية لدى الطفل، ونقصد بالحاجة النفسية:« حالة من التوتّر الذي يشعر به الفرد ويسعى إلى التخفيف منه وإزالته»[194].

إذن فالحاجة النفسية هي توتر نفسي طارئ على الفرد ويمكن أن يتعرّض هذا الأخير إلى مشاكل عديدة في حالة استمرار التوتر النفسي لديه «ويترتّب على عدم

193رشدي أحمد طعيمة.أدب الأطفال في المرحلة الابتدائية، النظرية و التطبيق.دار الفكر العربي القاهرة-مصر.ط1. 1998.ص.27.

194المرجع نفسه.ص27

التخفيف من حدّة التّوتّر حالة من الضيق تتفاوت درجتها ونوعها بتفاوت الحاجات النفسية التي عجز الفرد عن إشباعها»[195].

تتعدّد هذه الحاجات النفسية وتتنوع بتنوّع الميولات والخلجات النفسية واختلافها عند البشر، من أجل ذلك نجد علماء علم النفس النموّ[196] ، قدّموا العديد من قوائم الحاجات النفسية، ولعلّ أبرزها وأكثرها شهرة ورواجا قائمة "ماسلو" والتي تمثّلها على شاكلة بناء هرميّ يمكن عرضه على النحو الآتي[197]:

الرّغبة في المعرفة والفهم

تحقيق الــذّات

التّقـــديـــــر

الحـــبّ والانـــــتماء

الأمـــــــــــن

الحاجـــات الفيزيولوجـــية.

ومن خلال هذا البناء الهرميّ الذي قدّمه النفساني ماسلو يمكن اكتشاف الحاجات النفسية التي يتطلّع الطفل وكافله لإشباعها وفق ترتيب تصاعديّ على النحو الآتي:

1 -الحاجة الفزيولوجية.

2 -الحاجة إلى الأمن.

3 -الحاجة إلى الحبّ والانتماء.

195المرجع نفسه.ص27

196علم النفس النمّو هو فرع من فروع علم النفس الحديث.

197رشدي أحمد طعيمة. المرجع السابق. ص.27

4 –الحاجة إلى التقدير.

5 –الحاجة إلى تحقيق الذّات.

6 –الحاجة إلى المعرفة والفهم.

وباستطاعة مسرح الطفل وبقية أشكال أدب الأطفال الأخرى أن يسهم إسهاما وافرا في إشباع هذه الحاجات النفسية، فالحاجة للأمن مثلا –والتي تقف على رأس هذه الحاجات النفسية_إذا استثنينا الحاجة الفزيولوجية_، يمكن إشباعها من خلال تقديم نماذج مسرحية نثرية وشعرية تجسّد انتصار الخير على الشرّ، إذ يعمّ الحب والتآخي بين شخوصها ممّا يزيد من شعور الطفل وإحساسه بالأمن والطّمأنينة ومن أمثلة ذلك المسرحية الشعرية "الفراشة و الوردة " لسليمان العيسى، والتي تكرس مقولة الأمن؛ ذلك بتعاون المخلوقات فيما بينها، بما يحقّق الأمن والسّلامة للجميع، يقول سليمان العيسى [198]:

الفراشة:

(في اضطراب شديد)

خبيئيني...خبيئيني

في حناياك العميقة

أنثري حولي وريقاتك،

هيا...يارفيقة

(تلتفت إلى الوراء، وهي تلهث)

198 سليمان العيسى، الفراشة و الوردة، الهيئة العامة السورية للكتاب ، منشورات الطفل، وزارة الثقافة/دمشق–سوريا،2013م، ط01،ص 07 /.10

أسرعي

قد أوشك العفريت

أن يدركني

كاد، عند النهر،

لولا خفتي، يقتصني

أسرعي...

الوردة:

(بأعصاب باردة)

أهلا بأخت السحر،

بالوشي الأنيق

بالجناحين الخضيبين،

برشات الشروق

ألف أهلا...

لقد عمدت الوردة في هذه المسرحية الشعرية، إلى إجارة صديقتها الفراشة دون أي تردد رحبت بها، وعرضت عليها الأمن والأمان، تقول [199]:

يا للضحية... كيف تختلج

يا للبريئة... موقف حرج

199سليمان العيسى، الفراشة و الوردة. ص17/15.

(للفراشة)

دعيه يطفر

دعيه يطفر

خلف رؤاه البيض

في الأفق العريض

قرب طفل شاب

في البحث عن سراب

أنت هنا في مقلة الأمان

هيهات أن تبلغنا يدان

دعيه، واهدئي ...

ويستمر الحوار بينهما،إلى أن تؤكد لها في عزم وتصميم، قدرتها على رد الأذى و الخطر الداهم، تقول [200]:

لا أدفعن الغزو عنك

لأضربن المعتدي

لي شوكتي–أنسيت ؟

(تجس شوكتها بيدها)

تنفذ كالحراب، ولي يدي

---

200 سليمان العيسى، الفراشة و الوردة، ص 21.

(بلهجة واثقة)

لا تجزعي...

لقد تحقّق الأمن والسلامة للفراشة بفضل صديقتها الوردة وشجاعتها، وكان منها أن حفظت لها هذا المعروف، يقول سليمان العيسى في آخر هذا النص، على لسان الفراشة[201]:

لقد أنقذتني...

يا زينة الورد

سأحفظها يدا بيضاء

باقية الهوى عندي.

إن مبدأ التعاون كفيل بان يحقّق الأمن بين الناس، كما كان من حال الفراشة والوردة فالعبرة من هذه الأبيات بيّنة واضحة، تصل إلى الطفل في ثوب فنّيّ رائع.

والشيء نفسه يمكن قوله مع المسرحيات التي توظف بعض النصوص الدينية، التي تعبّر عن وجود اللّه سبحانه وتعالى القائم على حماية خلقه وحفظهم، يقول عزَّ وجلَّ: ﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا

201–سليمان العيسى، الفراشة و الوردة، ص 26.

الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[202].

ومعنى هذه الآية الكريمة يسهم بلا ريب في إشباع الحاجة إلى الأمن في نفس الطفل: «إذ إنّ ذلك يثبت عنده الإحساس بالأمل والثقة بأنّ هناك من يحميه من مخاوفه ويردّ عنه مصادر الخطر، ويدافع عنه إزاء خصومه من كائنات الطبيعة الأخرى»[203].

وكذلك هو الحال مع الحاجة إلى الحبّ إذ يتمّ إشباعها عند الطفل من خلال كلّ ما يقدّم له من أشعار وأناشيد وأغاني ضمن النصوص المسرحية، فالعلاقة الحميمة التي تحصل بينه وبين أبطال وشخوص هذه الأعمال تجعله يتعاطف معها ويشعر نحوها بالحبّ.

وخير ما نستشهد به –في هذا المقام– ما يرد في مسرحية "المستقبل" لسليمان العيسى دائما، الذي يكتب إلى أصدقائه الصغار، إلى ربيع الشعر كما يصفهم، إلى فرح اليأس وإلى انتصار الهزيمة، ومجد الحياة الذي تتهاوى على صفائه وصدقه الأمجاد، يقول[204]:

...بقعة خضراء تبدو كأنها في وسط بستان، تظهر على المسرح جوقة الأطفال، بنين وبنات ، بين العاشرة والثانية عشرة...ترقص وتغني، في أثناء الغناء، تظهر جوقة الأزهار، وتحيط بالأطفال، تتقدمها زهرة الياسمين...

جوقة الأطفال :

(ترقص،وتغني ، في موجة غامرة من البهجة و المرح)

202– سورة البقرة، الآية/255.

203رشدي أحمد طعيمة. المرجع السابق. ص31.

204–سليمان العيسى، المستقبل، الهيئة العامة السورية للكتاب ، منشورات الطفل، وزارة الثقافة/دمشق–سوريا،2013 م، ط01،ص 11./09

الفجر الضاحك موكبنا

والأفق الأزرق ملعبنا

نحن النسمات

في أرض تحلم بالنسمة

نحن البسمات

في ثغر قد نسي البسمة

منا الأجيال

منا ولنا

فينا الآمال

هيا معنا

الفجر الضاحك موكبنا

والأفق الأزرق ملعبنا

وليس بعيدا عن هذه الأجواء المليئة حبّا وسرورا، تقترب من الأولاد جوقة الأزهار لتقول [205]:

من أنتم ؟ يا مطرا وضياء

من أنتم ؟ يا ملكوت سماء

يتفتح في الظلمة

205- سليمان العيسى، المستقبل، ص11 وما بعدها.

يترقرق بالبسمة

من انتم ؟ قولوا للدنيا

تخضر الأرض بكم، تحيا

الفجر... لمن أشرق ؟

والأفق... لمن أورق ؟

وتنفطر الأبيات الخوالي حبّا وسعادة وأملا، تمتزج فيها عذريّة الطبيعة بعواطف الطفولة وبراءتها، وتستمر المسرحية مع أجواء الفرح والسرور، لترد جوقة الأطفال مجددا، فتقول [206]:

الفجر الضاحك موكبنا

والأفق الأزرق ملعبنا

نحن الأطفال

دقوا كفا

نحن الآمال

رفوا رفا

ولنسق الصبح أغانينا

ولتولد أمتنا فينا

نحن الأطفال

206- سليمان العيسى، المستقبل، ص 12.

نحن الآمال

إنّ كلَّ هذا الذّوبان في عالم الطبيعة عن طريق هذه النَّغمة الموسيقية الرَّاقصة كفيل بأن يدخل السرور والفرح–لا محالةَ– إلى قلب الطفل؛ ممّا يرسّخ –عنده– حبّ الحياة والتّمسّك بالأمل.

وهذا هو شأن مسرح الطفل مع باقي الحاجات النفسية الأخرى التي ذكرها ماسلو وغيره من علماء علم النّفس النّموّ، يعمل على إشباعها الواحدة تلو الأخرى، ويتّضح– ممّا سلف– الدّور الهامّ والخطير الذي يؤديه مسرح الطفل في عملية النّموّ عند الطّفل كونه وسيلة علاجية هامة من وسائل العلاج النفسي، فحتّى تتمّ عملية النّموّ على وجه سليم وجب استغلال طاقات هذه الوسيلة الحيويّة استغلالا سليما، من أجل تحقيق ذلك أخذ الباحثون يهتمّون بالكتابة للأطفال، ويحثّون المبدعين نحوها، غايتهم –في ذلك– تنشئة اِجتماعية سليمة لنباريس المستقبل ورجاء الأمم «ونحن –إذا ما رمنا أن يحافظ مجتمعنا على تطوّره الدّائم، ويسلم من المَذمّات والشّطحات– فليس إزاءَنا إلاّ العناية القصوى بالطّفل، وتنشئته تنشئة متماسكة الأجزاء، متينة الأوصال؛ إذ إنّ الرّعاية عن طريق التثقيف والتأليف من غير إساءة إلى ذوق الطّفل أو إهانة لشخصيّته يكون لها التّأثير الكبير على حياته المستقبلية، ولا سيما إن عرفنا كيف نقدّم لهذه الوجبة»[(207)].

من هنا تتبدّى لنا خطورة هذا الأدب وأهمّيته، ودوره الفعّال في عملية التنشئة من خلال التأثير على الطفل، وتأهيله نحو الأفضل فيتوحّد –بذلك– هدف أدب الأطفال ومنه المسرح، مع الهدف العام للتربية التي تسعى على إعداد الأشخاص وتحضيرهم لخوض غمار المستقبل« وغاية التربية ليست تدريب الملكات الذهنية على استيعاب مواد مركزة

207– محمد مرتاض. من قضايا أدب الأطفال (دراسة تاريخية فنية). ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون – الجزائر. دط. 1994. ص8.

فحسب بل تنمية شخصية الفرد وصقلها، وخلق اتزان عادل بين قواه الجسمية والعقلية والنفسية كي يصبح مواطنا بكلّ ما تنطوي عليه هذه الكلمة من معان»[208].

وفي الأخير يحقّ لنا أن نتساءل: هل أخذ كتّابنا كلّ هذه الأمور بعين الاعتبار؟

وهل استحضروا كلّ هذه المعاني وهم يكتبون لمستقبل هذه الأمّة؟

ولعلّ الإجابة تتّضح من خلال تسليط الضّوء على كتابات هؤلاء، واحتضانها بالدّراسة المتخصّصة والواعية من اجل توجيهها الوجهة السليمة.

208– عبد العزيز جادو. علم نفس الطفل. المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر.دط. 2001. ص109.